﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: 4 - 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

لمّا ذكرَ المولى تعالى أنَّ ليلةَ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ؛ ناسبَ أنْ يُبيِّنَ سببَ ذلك معَ إظهارِ خصائصِها ومدّةِ امتدادِها؛ فبيانِ الأسبابِ تنكشِفُ المَعاني العُجاب.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱلرُّوحُ﴾: (روح) أصلٌ كبيرٌ مُطّردٌ يدلّ على سَعَة وفُسحةٍ، وأصلُ ذلك كلِّه الرّيح، وأصلُ (الياء) في الرّيح الواوُ، فالرّوح روحُ الإنسان، وانّما هو مشتقّ من الرّيح، وكذلك البابُ كلُّهُ، والرّوحُ جَبْرَئيل[1]، وراحَ يروحُ رَواحًا، وتروَّحَ مثلُهُ، يكون بمعنى الغُدوِّ وبمَعنى الرُّجوع[2]، والرّوحُ اسمٌ من قولِهم مكانٌ ريِّحٌ؛ أي: طيّب[3]، فهو الظُّهور وجَرَيان أمرٍ لطيفٍ، ومن مصاديقِهِ تجلّي الفيضِ، وجريانُ الرّحمة وظهورُها، وظهورُ مقامِ النّبوّة وإرسالُها، وجريانُ الوحي، وتنزيلُ الكتاب والأحكام، ومن آثارِ هذا الظُّهور والجَرَيان حصولُ الفُسحةِ والسُّرورِ والفرَحِ والطّيب والرّاحةِ والفُرجةِ والسُّهولةِ والنّجاةِ والانقاذِ[4]. والمُراد بالرّوح في الآية الكريمة: جبريلُ عليه السلام.

2) ﴿مَطْلَعِ﴾: (طلع) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على ظُهورٍ وبُروز، يقالُ: طلعَتِ الشّمسُ طُلوعًا ومَطلَعًا، والمَطلَعُ مَوضِعُ طُلوعِها[5]، وطلعتِ الشّمسُ تطلُعُ طُلوعًا ومَطلعًا، فهي طالعةٌ، وكذلك طلعَ الفجرُ والنّجمُ والقمرُ، وأمّا ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ فانّ الكسائيّ وخَلَف عن نفسه قرأها بكسرِ اللّام، وقرأ الباقون بفتحِ اللّام، وقال الفرّاء: أكثرُ القرّاءِ على

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (روح).
(2) الفيوميّ، المصباح المنير: (روح).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (روح).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 4/ 246.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طلع).

﴿مَطْلَعِ﴾، وهو أقوى في قياسِ العربيّة، بمعنى: الطّلوع[1]. والمرادُ بهِ في الآيةِ: ظهورُ الفجرِ وعلوُّهُ وبيانُهُ.

3) ﴿ٱلْفَجْرِ﴾ (فجر) أصلٌ واحدٌ، وهو التّفتُّحُ في الشّيء، من ذلك الفجرُ: انفجارُ الظُّلمةِ عن الصُّبح، ومنه انفجرَ الماءُ تفتّحَ، والفُجْرَة: موضع تفتّح الماء، ثمّ كثُرَ هذا حتّى صارَ الانبعاثُ والتّفتّحُ في المعاصي فُجورًا[2]، وفجَرتُ الماءَ أفجُرُهُ فانفجَرَ، بَجَسْتُه فانبجَسَ، وفجَّرتُهُ شُدِّدَ للكثرة، فتَفجّرَ، والفَجْرُ في آخرِ اللّيل كالشّفَقِ في أوّلِهِ[3]، فهو انشقاقٌ معَ ظهورِ شيءٍ، ومِن مصاديقِهِ: انشقاقُ الظُّلمةِ وطلوعُ نورٍ وضياء، وانشقاقٌ في الجبَل ونبوعُ الماءِ، وانشقاقُ حالةِ الاعتدال وخروجُ أمرٍ مُخالفٍ يوجِبُ فِسْقًا وطُغْيانًا[4]. والمرادُ بهِ في الآيةِ: ظهورُ ضوءِ النّهار وبيانُهُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شـرَفُ الـزّمـان بما يقَعُ فيهِ من الخَير والأمان

إنّ سببَ ارتقاءِ هذهِ اللّيلةِ إلى هذه الغايةِ ما يوجَدُ فيها من إنزالِ القرآن، وتنزُّلِ الملائكةِ والرّوحِ فيها، وفَصْلِ كلِّ أمرٍ حكيم، ولذلك فإنَّ العبادةَ فيها أكثرُ ثوابًا، وأعظمُ فضلًا من العبادة في أشهرٍ كثيرةٍ ليس فيها ليلةُ القَدْر، وتتنزّلُ الملائكةُ مُلتبِسينَ بإذنِ ربِّهم وأمرِهِ، وما ليلةُ القَدْرِ إلّا سلامةٌ وخيرٌ كلُّها، وتمتدُّ إلى طلوعِ الفجرِ وظُهورِهِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ الفصلِ في ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾:

هـنـيـئًـا لأهـلِ القُرآن العاكِفينَ عليهِ ليلَ نَهار

فصلَ النّظمُ الكريمُ قولَهُ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (طلع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فجر).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (فجر).
(4) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 9/ 28.

عمّا قبله؛ لكونه مستأنفًا استئنافًا بيانيًّا؛ إذ نشأ سؤالٌ مقدّرٌ من كونِ ليلةِ القدر خيرًا من ألفِ شهرٍ؛ مُفادُهُ: لمَ كانت كذلك؟ فأجابَ مُبيِّنًا وموضِّحًا ومُعلِّلًا بقولِهِ: ﴿تَنَزَّلُ﴾؛ لأنّه خُصَّ إنزالُهُ بتلك اللَّيلةِ المُباركة، وما ذلك إلّا لعظَمةِ كلامِ الله تعالى المُنزَل.

سِرُّ الاختلاف بالاسميّة والفعليّةِ بينَ البيانَين:

ثُبوتُ الخيريَّة وحدوثُ التّنزُّل بطريقةٍ تجدّديّة

غايرَ النّظمُ الكريمُ في بيانِ الجوابِ الاستفهاميِّ التّعظيميِّ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾، فأجابَ أوّلًا بالجُملة الاسميَّة ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، وأجابَ ثانيًا بالجُملة الفعليّة هنا: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾؛ لبيانِ أنَّ الحُكم بالخيريَّة أمرٌ ثابتٌ ودائمٌ لا يتغيّرُ ولا يتجدّدُ، ممّا يُشكِّلُ حافزًا على الاهتمامِ بالعبادة فيها والتّفرُّغ والاستعداد لها، وأمّا التّنزُّلُ فإنّه أمرٌ يقع على سبيلِ التّجدُّدِ والحدوث؛ إذ تتنزّلُ الأفواجُ متلاحقةً، وتلك صورةُ الحركةِ التي يُنبئ عنها الفعلُ، وقد ورد قولُه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ بالصّورة الاسميّة أيضًا، فإن كان تنزُّلُ الملائكة أمرًا متجدِّدًا على سبيل الاستمرارِ فإنَّ السّلام أمرٌ ثابتٌ ودائمُ التّحقُّقِ فيها، فقد عبَّر النّظم الكريمُ عن كلِّ حالةٍ بما يلائِمُها ويُناسبُها من ثبوتٍ وحدوثٍ.

دلالةُ حكايةِ الحالِ في ﴿تَنَزَّلُ﴾:

استمرارُ التّنزُّل حبًّا للعابدينَ بلا مَلَلٍ أو تمثُّل

عبّرَ النّظم الكريمُ بالفعلِ المضارع ﴿تَنَزَّلُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾؛ للدّلالة على حكايةِ الحالِ الماضية؛ إذِ الكلامُ عن إنزالِ القرآن في تلك اللَّيلة المُباركة، وهو أمرٌ قد مضَى؛ فجاءت صيغةُ المضارع لأمرَين؛ أوّلُهما: إرادةُ استحضارِ الماضي لتصويرِ عظَمتِهِ، وكأنَّه يقعُ الآنَ بمَرأى من النّاظرين، وثانيهما: أنَّ مبدأ التنزّلِ كانَ في ليلة القدر، ولكن بقيَّةَ الكتاب كان فيما بعدُ، فكأنَّه يشير إلى أنَّ ما بُدِئَ به يستمرُّ حتى يكمُلَ الدينُ[1].

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 9/ 517.

دلالةُ فعلِ ﴿تَنَزَّلُ﴾ مادّةً وصيغةً:

استمرار نزولِ الملائكة وتجدّدُه في تلك اللّيلة

عبّرَ النّظمُ الكريم بفعل (التّنزُّل) مُضارعًا في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ﴾؛ للدّلالة على التّجدُّدِ الاستمراريِّ لنزولِ الملائكة في تلك اللّيلة، كما تفيدُ صيغةُ (التّفعُّلِ) على التّدرُّج في النّزول.

دلالةُ الكِناية في فعلِ ﴿تَنَزَّلُ﴾:

مِن لوازمِ تنزُّلِ الملائكة التّقرُّبُ من أهلِ الآخِرة

كنَّى النّظمُ القرآنيُّ بفعلِ (التّنزُّل) في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عنِ التّقرُّبِ للمُؤمنينَ والسَّلامِ عليهم، إذ يَلزمُ مِن تنزُّلِهم إلى الأرض ذلك، قال القونويّ: "يعني التّنزُّلُ إمّا بمعنى النّزولِ من كلِّ سماءٍ إلَى الأرْض، أوْ بمعنى دُنوِّهم من المُؤمنينَ المُطيعين، والأوْلَى أنْ يكون المَعْنَى: تقرُّبُهم إلَى المُؤمنينَ لأجلهم، أوْ لسَلامِهم على المُؤمنينَ، كما يُفهَمُ من قولِهِ: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾، وهذا بعدَ تنزُّلِهم إلَى الأرْض، لكن هذا المَعْنَى لا يُقصَدُ مِن عبارةِ النّصّ، بل يُفهَمُ باقتضاءِ النّصِّ؛ فإنَّ تنزُّلَهم وتقرُّبَهم إلَى المُؤمنينَ يتوقّفُ عَلَى تنزُّلِهم إلى الأرْض؛ فهو لازمٌ مقدّمٌ فيَثبُتُ اقتضاءً"[1].

دلالةُ التّعريفِ في ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾:

جميعُ المَلائكة في حالةِ تنزُّلٍ دائبة

عرّفَ النّظمُ الكريم لفظَ ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ بـ (أل) الجنسيَّة للدّلالة على الاستغراقِ الكليِّ، والغَرضُ منَ التّعميم الكلّيِّ الإشارةُ إلى شرَفِ تلك اللّيلةِ وعظَمَتِها؛ إذِ الملائكةُ في حالةِ تنزُّلٍ مستمرٍّ ودائبٍ، أفواجًا أفواجًا، وفي عطفِ (الرّوح) عليها إشارةٌ إلى إرادةِ الاستغراق؛ فلم يبق أحدٌ إلّا ونزلَ فيها حتَّى الرّوحُ.

نوع الواو ودلالتُها في ﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾:

مُشارَكةُ جبريلَ دليلُ الشّرَفِ النَّبيل

عبّرَ النّظمُ الكريم بـ(الواوِ) في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 371.

﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾؛ للدّلالة إمّا على العطفِ؛ إذِ الظّاهرُ إرادةُ الجمعِ والاقتران في نزولِ الملائكةِ والرّوحِ في ليلة القدر، والغرضُ من الجمعِ الإشارةُ إلى أنَّ أفضلَ ملائكة اللّه يشاركُ في التّنزُّلِ إلى الأرض، أوْ للدّلالةِ على الحال، أي: تتنزّلُ الملائكةُ والحالُ أنَّ الرّوحَ في أولئك المَلائكةِ المُتنزِّلين، ليكونَ وجودُهُ فيهم دليلًا على عُلوِّ شأنِ تلك اللَّيلة الّتي يُصاحِبُ فيها جبريلُ جميعَ الملائكة.

دلالةُ المَوقِعِ الإعرابيّ لـ ﴿وَٱلرُّوحُ﴾:

الدّلالة الصّريحةُ مُقدّمةٌ على الدّلالة اللّزوميّة

عبّرَ النّظمُ الكريمُ بلفظ (الرّوح) مَرفوعًا في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾؛ فيحتملُ أنْ يكونَ مرفوعًا بالعطف على ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، والتّقدير: (تنزّلُ الملائكةُ والرّوحُ في تلك اللَّيلة)، أوْ مرفوعًا بالابتداءِ والواوُ للحال، والتّقديرُ: (تنزّلُ الملائكةُ حالَ كونِ الرّوح في تلك الملائكة)، ورجّحَ القونويّ الإعرابَ الأوّلَ بقوله: "﴿وَٱلرُّوحُ﴾ يجوزُ رفعُهُ بالابتداء، والجارُّ والمجرور بعدَهُ خبرُهُ، وأنْ يرتفعَ بعَطْفِهِ عَلَى ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، و﴿فِيهَا﴾ يتعلّق بقولِهِ ﴿تَنَزَّلُ﴾، والضّميرُ لـ﴿لَيْلَةُ﴾، وعلى الأوّلِ لـ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، والثّاني أوْلى وأظهرُ؛ لأنَّ نزولَ الرّوح يُفهمُ صَريحًا، وعلى الأوّلِ يُستفاد التزامًا؛ إذ جملةُ ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ حالٌ من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عَلَى طريقةِ قولِه: (جاءَني زيدٌ والشّمسُ طالعةٌ)، فيُفهَمُ تنزُّلُ الرّوحِ التزامًا"[1].

دلالةُ الاستعارةِ التّصريحيَّة في ﴿وَٱلرُّوحُ﴾:

تشريفُ القرآن بتسميةِ جِبريلَ روحًا حاملةً للبيان

استعارَ النّظمُ الكريم لفظَ (الرّوح) في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾؛ للدّلالة به إمّا على جبريلَ عليه السلام، أو صنفٍ من الملائكةِ المقرّبينَ، أو أشرافِهم[2]، والرّاجحُ الأوّل[3]، فقد شبَّهَ النّظمُ

(1) القونويّ وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 372.
(2) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 576.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 462.

الملاكَ جبريلَ ﷺ بالرّوحِ، بجامعِ أنَّ كلًّا مِنهُما يَحيا بهِ الإنسانُ؛ فبالوَحْيِ الَّذي يَحمِلُه وبالرّوح يكونُ الإنسان، ثمَّ حذفَ المشبَّه وأبقى المشبَّهَ به على سبيلِ الاستعارة التّصريحيَّة، والغرضُ من الاستعارةِ: بيانُ أنَّ جبريلَ ﷺ الَّذي ينزلُ بالوحي إلى الأنبياءِ والمرسَلين هو الرّوح الّتي تعيشُ من خلاله البشريّةُ وتتنعّمُ؛ فيكونُ تشبيهًا للشّيءِ باسمِ ما يحمِلُه. وفي تخصيصِ جبريل في هذه السّورة بلفظِ (الرّوح) إشارةٌ إلى أنَّ القرآن الكريم الَّذي نزلَ في هذه اللّيلة المباركةِ روحٌ للإنسان، حملَهُ جبريلُ الذي استُعيرَ له (الرّوح)؛ لما يَحملُهُ معَه من كلام اللّه الَّذي تَحيا بهِ النّفوسُ وتعيشُ. بقي أنّه يمكنُ أنْ يكونَ (الرّوح) استعارةً للقرآن المُنزَل، وإسنادُ التّنزُّلِ إليه على سبيلِ التّخييل بعدَ تشبيهِهِ بالأجرامِ.

دلالةُ التّعريفِ بـ(أل) في (الرّوح):

عرّف النّظمُ الكريم لفظَ (الرّوح) بـ(أل) في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾؛ للدّلالة بها على الجنسِ والماهيَّة؛ لأنَّ جبريلَ بحَملِهِ أمانةَ الرِّسالة الّتي هي الرّوحُ للإنسان، يكونُ روحًا على سبيلِ الحقيقةِ والكَمال، وفي ذلك مدحٌ عظيمٌ للقرآن الكريم؛ إذْ بحَمْلِ جبريلَ له وإنزالِهِ فإنّه حملَ الرّوحَ معَهُ، حتّى استحقَّ أنْ يكونَ روْحًا.

القرآنُ روحٌ للقلوب وسعادةٌ للمَكروب

دلالةُ الجارِّ والمَجرورِ ﴿فِيهَا﴾:

علّقَ النّظمُ الكريم الجارَّ والمجرورَ ﴿فِيهَا﴾ بالفعلِ ﴿تَنَزَّلُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾؛ للدّلالة على وقوعِ التّنزُّل في تلك اللّيلة المُباركة، وفائدةُ التّعليقِ: بيانُ شرفِ تلك اللّيلة التي استحقّتْ أن يختصَّ نزولُ الملائكة فيها، وذلك تنويهٌ بشأنِ القرآن الكريم وإعلاءٌ له؛ لأنَّ تلك اللّيلةَ هي ليلةُ نُزولِ القرآنِ الكريم.

تخصيصُ ظرفِ التّنزول إعلاءٌ لشأنِ الكتابِ المَحمول

دلالةُ الباء في ﴿بِإِذْنِ﴾:

عبَّر النّظمُ الكريم بـ(الباءِ) في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

مُصاحبةُ المأذون أدبٌ ينتفِعُ بهِ المتعلّمون

﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾؛ للدّلالة بها إمّا على السّببيَّة أو المُصاحَبة، قال ابنُ عاشور: "﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ مُتَعَلِّقٌ بـ﴿تَنَزَّلُ﴾ إمّا بمَعْنَى السَّبَبيَّة، أيْ: يَتَنَزَّلونَ بسَبَبِ إذْنِ رَبِّهِمْ لَهُمْ في النُّزولِ؛ فالإذْنُ بمَعْنَى المَصْدَرِ، وإمّا بمَعْنَى المُصاحَبَة، أي: مُصاحِبينَ لِما أذِنَ بهِ رَبُّهُمْ، فالإذْنُ بمَعْنَى المَأْذونِ بهِ، مِنْ إطْلاقِ المَصْدَرِ على المَفْعولِ"[1]، ولا شكّ أنَّ المصاحبةَ أعمقُ أثرًا؛ إذ يبقى الإذنُ معَهم طوالَ فترةِ تنزُّلِهم، كما يَقتضي تحقُّقَ السّببيَّة ويَستلزمُها، لكنَّ الجارَّ والمجرورَ على الأوّلِ ظرفٌ لَغْوٌ متعلّقٌ بـ﴿تَنَزَّلُ﴾، وعلى الثّاني حالٌ متعلّقٌ بمحذوفٍ حالٍ، قال الهرريّ: "﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ متعلّقٌ بـ﴿تَنَزَّلُ﴾، أو بمحذوفٍ هو حالٌ من ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: تنزلُ الملائكةُ وتهبطُ في تلك اللّيلة كلُّهم والرّوحُ بإذنِ ربِّهم؛ أي: بأمْرِهِ وإرادتِهِ، أوْ حالَ كونِهم مُتلبِّسينَ بإذنِ ربِّهم وإرادتِهِ"[2].

دلالةُ الإضافةِ في (إذنِ ربِّهم):

تعيينُ جهةِ الإذن مِن صوَرِ الإكرامِ والمنّ

أضافَ النّظمُ الكريم لفظَ (الإذن) إلى لفظِ ﴿رَبِّهِم﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾؛ للدّلالة على تخصيصِ جهةِ الإذن والأمْر وتعيينِها، وبذلك التّخصيصِ يُعلَمُ أنَّ إعلاءَ شأنِ تلك اللَّيلة وإظهارَ فضائلِها بإذن الله تعالى وأمره؛ إذِ التّنزُّلُ علامةُ الإكرام، وهو واقعٌ بأمرِ الله وقُدرتِه، قال ابنُ عاشور: "ومَعْنَى ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ أنّ هَذا التّنزلَ كَرامَةٌ أكْرَمَ الله بها المُسْلِمينَ؛ بأنْ أنْزَلَ لَهُمْ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ جَماعاتٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ، وفيهِمْ أشْرَفُهُمْ، وكانَ نُزولُ جِبْريلَ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ليَعودَ عَلَيْها مِنَ الفَضْلِ مِثْلَ الَّذي حَصَلَ في مُماثَلَتِها الأولَى لَيْلَةَ نُزولِهِ بالوَحْيِ في (غارِ حِراءٍ)"[3]،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 463.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 192، والشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 576.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 462.

ومَن أذِنَ بإنزال الملائكةِ المُتتابعةِ فهو يأذَنُ بإنزالِ الكتابِ على مَن يشاءُ مِن عبادِهِ، قال المصطفويّ: "وإنّما تظهَرُ الملائكةُ والرّوحُ بإذْنِ رَبِّهِمْ، أي: إنَّما تتجلَّى الملائكةُ على النّفس الكاملة، بعدَ أنْ هيّأها اللّه لقَبولِ تجلّيها، وليسَتْ تتجلَّى الملائكةُ لجميعِ النّفوس كما هو معلومٌ، فذلك فضلُ اللّه يختصُّ بهِ مَن يشاء، واختصاصُهُ هو إذنُهُ ومَشيئتُهُ"[1].

دلالةُ إيرادِ اسمِ (الرّبِّ) مُضافًا في ﴿رَبِّهِم﴾:

التّعبيرُ بالرّبوبيَّة لأنَّ التّنزُّل مظهَرٌ للعنايةِ بالنُّفوسِ الإنسيَّة

عبّرَ النّظمُ الكريم بلفظِ (الرّبِّ) مُضافًا إلى ضميرِ الملائكةِ في قولِهِ تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾؛ دونَ لفظِ (الأُلوهيّة)؛ لأنّ التّنزُّلَ في حقيقتِهِ ومقصَدِه مظهَرُ عنايةِ اللّه تعالى بأهلِ ليلةِ القَدْر، وهو صورةٌ من صوَرِ الإكرام لتلكِ اللَّيلة التي نزلَ فيها القرآنُ الكريم، فيُناسِبُه التّعبيرُ بلفظ الرّبوبيَّة الدّالِّ على التّربيةِ والعنايةِ والتّكميل للنّفوسِ المُبارَكة العابِدة، وللتّمييزِ للرّبِّ القادر عن الأربابِ الباطِلة الّتي لا تفعلُ ولا تقدِرُ على شيءٍ أصْلًا.

دلالةُ ﴿مِّن﴾ والغرضُ منها:

بيانُ المأذون لإظهارِ القَدَرِ المكنون

عبّر النّظمُ الكريمُ بحرف الجَرّ ﴿مِّن﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ للدّلالة إمّا على البيانِ لـ(لإذنِ)، أيْ: بإذْنِ رَبِّهِمُ الَّذي هوَ في كُلِّ أمْرٍ[2]، والباءُ في ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ للمُصاحَبة، فيكون بيانًا لما يأذنُ به اللّه في كلِّ أمرٍ، بمعنى (الباءِ)، وهي مُتعلِّقةٌ بـ﴿تَنَزَّلُ﴾، والتّقديرُ: (تَتَنَزَّلُ بكُلِّ أمْرٍ)، مِثْلُ ما في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرّعْد: 11] أي: بأمْرِ اللّه، وهذا إذا جُعِلَتْ (باءُ) ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ سَبَبيَّةً[3]، أي: بكلِّ أمرٍ منَ الخيرِ

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 9/ 517.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 464.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 464.

والبَركة[1]، ولكن يُضعِفُه أنَّ جعلَها صلةً لـ(تتنزّل) بعدَ باءِ السّببيَّة يؤدّي إلى أنَّها تتنزّلُ بسببِ الإذنِ بكلِّ أمر، فيكون تنزُّلُها بكلِّ أمرٍ بسببِ الإذن، فلو نزلَتْ ببعضِه لما احتاجتْ إلى الإذنِ فيه، وهو بعيدٌ. أوْ لِلتَّعْليلِ[2]، أي: مِنْ أجْلِ كُلِّ أمْرٍ أرادَ اللهُ قَضاءَهُ بتَسْخيرِهِمْ[3]، أي: تتنزّلُ من أجلِ كلِّ أمرٍ منَ الأُمورِ قد قُدِّرَ وقُضيَ في تلك السَّنَة من خيرٍ ومن شرٍّ؛ أي: لأجلِ إنفاذِ كلِّ أمرٍ قد قُدِّرَ في تلك السّنة[4].

والّذي يتبيّنُ جعلُ (مِن) ابتدائيّةً متعلِّقةً بعاملٍ محذوفٍ يدلُّ عليه السّياق، وهو (يَحفظونَهم)، بدليلِ أنَّ اللّيلةَ أُخبِرَ عنها بعد ذلك مباشرةً بأنَّها ﴿سَلَٰمٌ﴾، ولا تكونُ سلامًا إلّا بتسليمِ الملائكةِ عليهم، وحفظِهم فيها من كلِّ شرٍّ، نتيجةَ حفظِهم بالمؤمنينَ بإذنِ ربِّهم، والمعنى: تتنزّلُ الملائكةُ حافظةً لهم من كلِّ أمرٍ، ولذا كانت اللّيلة سَلامًا.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿كُلِّ أَمْرٍ﴾:

اختصاصُ الأُمورِ العَظيمة بأجزاءِ تلك اللّيلة العَجيبة

عبّر النّظمُ الكريمُ بلفظِ ﴿كُلِّ﴾ مُضافًا إلى النّكرةِ ﴿أَمْرٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ للدّلالةِ بالكلّيَّة على الكثرةِ والأهمّيَّة دونَ الاستغراقيّة؛ لاستحالة مُصاحبةِ الملائكةِ لكلِّ أمرٍ على سبيلِ الاستغراقِ، قال ابن عاشور: "و﴿كُلِّ﴾ مُسْتَعْمَلَةٌ في مَعْنَى الكَثْرَةِ لِلْأَهَمِّيَّةِ، أيْ: في أُمورٍ كَثيرَةٍ عَظيمَةٍ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [يونس: 97]، وقَوْلِهِ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحجّ: 27]، وقَوْلِهِ: ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: 12]"[5]؛ كما يكتسبُ المضافُ من المضافِ إليه النّكرةِ التّعظيمَ والأهمّيّة، والمقصودُ: أنَّ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 193.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 372.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 464.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 193.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 464.

ما يأذَنُ اللّه به هو كلُّ أمرٍ عظيم، وذلك التّعظيمُ تنويهٌ بشأنِ تلك اللّيلة، الّذي يَؤولُ بدورِهِ إلى تعظيمِ أمر القرآن وشأنِهِ العَظيم.

سرُّ التّنكير في ﴿أَمْرٍ﴾:

نكّرَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿أَمْرٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ للدّلالة على التّعظيم والتّفخيم لتلك الأمورِ المَقضيِّ بها في تلك اللّيلة السّعيدة، ولذا قالَ ابنُ عاشور: "وَتَنْوينُ ﴿أَمْرٍ﴾ لِلتَّعْظيم، أي: بأنْواعِ الثَّوابِ على الأعْمالِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ"[1].

ليلةُ الثّوابِ تُقضَى بالرَّجاء من الكريمِ التّوّاب

نُكْتةُ تنوُّعِ حرفِ الجَرِّ في الآية:

نوّعَ النّظمُ الكريم حروفَ الجرِّ الواردةَ في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ فقد استعملَ ثلاثةَ حروفٍ هي: (الظّرفيّةُ والمصاحبةُ والبيانيّة)؛ لإظهارِ فضيلةِ تلك اللّيلة وكمالِها؛ وبدأ بالظّرفيَّة؛ لأنَّ الحديث عن جلالِ تلك اللّيلة، وثنَّى بالمُصاحَبة لبيانِ اقترانِ نزولِ الملائكةِ بالأوامرِ الإلهيّة، وثلّثَ بالبيانيّة لتحديد طبيعةِ ذلك الأمر الإلهيِّ الدّالِّ على السَّعد والبَركةِ والخير.

في تلك اللّيلةِ، تقَعُ المُصاحبةُ للأوامرِ الإلهيَّة، التي هي كلُّ الأمورِ الكماليَّة

نُكْتةُ الفصلِ في ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾:

فصلَ النّظمُ الكريم قولَه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ عمّا قبلَها؛ إمّا لكونها مستأنفةً استئنافًا بيانيًّا، أو منزّلةً منزلةَ البيانِ ممّا قبلَها؛ لكونِها بيانًا آخرَ أو تعليلًا موضِّحًا لكونِ ليلةِ القَدْرِ خيرًا من ألفِ شهر، فهي خيرٌ لتَنزُّلِ الملائكة ولأنَّها سلام، أو استئنافٌ بيانيٌّ موضِّحٌ لفضيلةِ ليلةِ القَدْر المَسؤولِ عنها في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾، ورأى ابنُ عاشور أنَّها: "بَيانٌ لِمَضْمونِ ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ وهوَ كالاحْتِراسِ؛ لِأنَّ تَنَزُّلَ المَلائِكَةِ يَكونُ لِلْخَيْرِ ويَكونُ

بيانٌ للخيريّة دالٌّ على تنفيذ السَّلام فيها للأُمَّة الإسلاميَّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 464.

لِلشَّرِّ لِعِقابِ مُكَذِّبي الرُّسُلِ، فأخْبَرَ هُنا أنَّ تَنَزُّلَ المَلائِكَةِ لَيْلَةَ القَدْرِ لِتَنْفيذِ أمْرِ الخَيْرِ لِلْمُسْلِمينَ، الَّذينَ صاموا رَمَضانَ، وقاموا لَيْلَةَ القَدْرِ، فهَذِهِ بشارَةٌ"[1].

دلالةُ المَجازِ العقليِّ في ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾:

ظرفيّةُ اللَّيلة للسَّلام مُجوِّزةٌ لنسبتِهِ إليها في الكلامِ

أسندَ النّظمُ الكريم (السّلام) إلى (اللّيلة) في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾، للدّلالةِ على المبالغةِ والكمالِ في السَّلام الواقعِ في تلك اللّيلة، حتّى صارَتْ ليلةُ القَدْرِ المشتملةُ على السَّلام عينَ السَّلام، وذلك مثلُ قولِهِ تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ﴾ [سبأ: 33]، مع أنَّ المكرَ واقعٌ في اللّيل، لكنّهُ أُسنِدَ إليه للعَلاقةِ الزّمانيّة، وكأنَّ اللّيل يمكرُ واللّيلةُ تسلَمُ، ولذا قالَ القونويّ مُعلِّقًا على قولِ البيضاويِّ: "قولُهُ: (أي: لا يُقدِّرُ اللّه تعالى فيها إلّا السَّلامَ، ويقضي في غيرِها السّلامةَ والبلاءَ): نبّه به عَلَى أنَّ اللّيلة ظرفٌ للسَّلامة لا عينُها، لكنْ أُريدَ المُبالَغَةُ، فجُعِلَتْ عينَ السَّلامة"[2]، ولا يبعدُ أنْ يكونَ التّقدير: (ليلةٌ يسلَمُ أهلُها)، لكنْ عُدِلَ الإسنادُ عن أصحابِ اللّيلة إليها مجازا عقليًّا للمبالغةِ.

المُبالغةُ في السَّلام تقتضي المبالغةَ في الكَلام

دلالةُ الإخبارِ بالمصدرِ عن (اللّيلة):

أخبرَ النّظمُ الكريم عن ضميرِ (اللّيلة) بأنَّها ﴿سَلَٰمٌ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾؛ للدّلالة على المُبالغة؛ إذ جُعلتِ اللّيلة عينَ السَّلام وحقيقتَه، وعُدِلَ عن الإسنادِ بالمشتقِّ إلى الإسنادِ بالمصدرِ مُبالغةً في كونِها عينَ المصدرِ وليست حصّةً من تلك الحقيقةِ، إذِ الفرقُ بينَ قولنا: (زيدٌ عادلٌ) و(زيدٌ عدلٌ) أنَّ الأوّلَ واحدٌ متّصفٌ بحصّةٍ من العدل، وفي الثّاني صارَ زيدٌ عينَ العَدْلِ وذاتَهُ، ولذا قالوا في التّقدير: "أيْ: ما هيَ إلّا سَلامَةٌ وخَيْرٌ كُلُّها لا شَرَّ فيها، وقيلَ: هيَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 465.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 374.

ذاتُ سَلامَةٍ مِنْ أنْ يؤثّر فيها شيطانٌ من مُؤْمِنٍ أوْ مُؤْمِنَةٍ"[1]، وإنّما ضُعِّفَ التّوجيهُ الثّاني بالقيل؛ لأنَّه بتقديرِ المضافِ المَحذوف (ذو) يفوتُ معنى المُبالغة في الإسنادِ؛ كقولنا: (زيدٌ ذو عَدْل).

دلالةُ تنكيرِ المَصدرِ في ﴿سَلَٰمٌ﴾:

ليلةُ السَّلام العَظيم والهدوءِ التّامّ الأمين

نكّرَ النّظمُ الكريم لفظَ ﴿سَلَٰمٌ﴾ مَصدرًا في قولِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾؛ للدّلالة على التّعظيم والتّفخيم من شأنِ ذلك السَّلام في حقيقتِهِ وماهيّته، سواءٌ جعلنا (السّلام) مُرتبطًا بالأمرِ أوْ مُرتبطًا باللَّيلة؛ فهو أمرٌ تتنزّلُ به الملائكةُ متلبّسٌ بسلامٍ عظيمٍ ورحَماتٍ عظيمةٍ قديرةٍ، أوِ اللّيلةُ سَلامٌ عظيمٌ وفخمٌ. قال ابن عاشور: "وَيُطْلَقُ (السَّلامُ) على التَّحيَّةِ والمِدْحَةِ، وفُسِّرَ (السَّلامُ) بالخَيْرِ، والمَعْنَيانِ حاصِلانِ في هَذِهِ الآيَةِ، فالسَّلامَةُ تَشْمَلُ كُلَّ خَيْرٍ؛ لِأَنَّ الخَيْرَ سَلامَةٌ مِنَ الشَّرِّ ومِنَ الأذَى، فيَشْمَلُ السَّلامُ الغُفْرانَ وإجْزالَ الثَّوابِ واسْتِجابَةَ الدُّعاءِ بخَيْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ، والسَّلامُ بمَعْنَى التَّحيَّةِ والقَوْلِ الحَسَنِ مُرادٌ بِهِ ثَناءُ المَلائِكَةِ عَلَى أهْلِ لَيْلَةِ القَدْرِ"[2].

دلالةُ تقديمِ المُسنَدِ في ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾:

حَصْرُ اللّيلة على السَّلام إظهارٌ لمزيدِ التّقديرِ لَها والإكرام

قدّمَ النّظمُ الكريمُ المسندَ ﴿سَلَٰمٌ﴾ على المسندِ إليه ﴿هِيَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾؛ للدّلالة على الحصرِ والاختصاص، إذ قُصِرَتِ اللّيلة على السَّلام لا تتجاوزُهُ إلى غيره، قال ابنُ عاشور: "وَتَقْديمُ المُسْنَدِ وهو ﴿سَلَٰمٌ﴾ على المُسْنَدِ إلَيْهِ لِإفادَةِ الاخْتِصاصِ، أي: ما هيَ إلّا سَلامٌ، والقَصْرُ ادِّعائيٌّ؛ لِعَدَمِ الاعْتِدادِ بما يَحْصُلُ فيها لِغَيْرِ الصّائِمينَ القائِمينَ"[3]؛ وأفادَ القصرُ تعظيمًا لشأنِ تلك اللّيلةِ الّتي أُنزِلَ فيها القرآنُ، وإظهارًا لجمالِها وبهائِها، إذ يَعمُّ

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 576.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 465.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 465.

الأرضَ السّلامُ والسّكينةُ والهدوء؛ لانشغالِ العابدينَ في مَحاريبِ الصَّلاة بالتّضرُّعِ وطلَبِ الرَّحمة، وفي ذلك إشارةٌ إلى رضا الله تعالى عمّا يَفعَلون، وتأمينِ الملائكةِ لهُم وحفِّها بهم، وسلامِهم عليهم، ودفعِ الشّرِّ عنهم بإذنِ ربِّهم، ولا تتأتّى هذه الخصيصةُ المعنويَّة إلّا بإعرابِ ﴿سَلَٰمٌ﴾ خبرًا مقدَّمًا لـ﴿هِيَ﴾، وأمّا لو جعلناه خبرًا عن مبتدأٍ محذوفٍ فلا تقديمَ أصْلًا. قال المظهريّ: "وتقديمُ الخبرِ على المبتدأ؛ لقصدِ الحَصْر، أي: ما هي إلّا سلامٌ وخيرٌ كلُّها ليسَ فيها شرٌّ، وقيل: ما هي إلّا سلامٌ لكثرةِ ما يُسلِّمُ الملائكةُ على المُؤمنين"[1].

سرُّ التّعبير بالحرفِ ﴿حَتَّىٰ﴾ والغَرَضُ منهُ:

إدخـالُ الغايةِ في المُغيّا رحمةٌ بالنّاس مِن ربِّ البَرايا

عبَّر النّظمُ الكريم بحرفِ الجرِّ ﴿حَتَّىٰ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾؛ للدّلالة على الغايةِ؛ سواءٌ كانَ التّنزُّل ممتدًّا إلى طلوعِ الفجرِ أو السّلامُ ممتدًا إليه أوْ كلاهُما معًا، والمَقْصودُ مِنَ الغايَةِ - كما يرى ابنُ عاشور - "إفادَةُ أنَّ جَميعَ أحْيانِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَعْمورَةٌ بنُزولِ المَلائِكَةِ والسَّلامَةِ، فالغايَةُ هُنا مُؤَكِّدَةٌ لِمَدْلولِ لَيْلَةِ القَدْرِ؛ لِأنَّ اللَّيْلَةَ قَدْ تُطْلَقُ عَلَى بَعْضِ أجْزائِها، وجيءَ بحَرْفِ ﴿حَتَّىٰ﴾ لِإدْخالِ الغايَةِ؛ لِبَيانِ أنَّ لَيْلَةَ القَدْرِ تَمْتَدُّ بَعْدَ ﴿مَطْلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾، بحَيْثُ إنَّ صَلاةَ الفَجْرِ تُعْتَبَرُ واقِعَةً في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، لِئَلّا يُتَوَهَّمَ أنَّ نِهايَتَها كَنِهايَةِ الفِطْرِ بآخِرِ جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ، وهذا تَوْسِعَةٌ مِنَ اللهِ في امْتِدادِ اللَّيْلَةِ إلَى ما بَعْدَ طُلوعِ الفَجْرِ"[2].

دلالةُ الإدماج في ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾:

تحديدُ الغاية دليلُ بقاءِ اللّيلة

أدمجَ النّظمُ الكريمُ معَ بيانِ فضيلةِ (ليلةِ القدر) تحديدَ مُدّتِها وامتدادِها في قولِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾، والغرضُ من

(1) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 10/ 315.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 466.

الإدماجِ بيانُ أنّها ليلةٌ باقيةٌ لم تُرفَع. قال ابن عاشور: "وَذِكْرُ نِهايَتِها بطُلوعِ الفَجْرِ لا أثَرَ لَهُ في بَيانِ فضْلِها؛ فتَعَيَّنَ أنَّهُ إدْماجٌ لِلتَّعْريفِ بمُنْتَهاها؛ ليَحْرِصَ النّاسُ عَلَى كَثْرَةِ العَمَلِ فيها قبل انتهائها، لا جرم أنَّ لَيْلَةَ القَدْرِ الَّتي ابْتُدِئَ فيها نُزولُ القُرْآنِ قَدِ انْقَضَتْ قَبْلَ أنْ يَشْعُرَ بها أحَدٌ، فلَوْلا إرادَةُ التَّعْريفِ بفَضْلِ اللَّيالي الموافقَة لَها في كُلِّ السَّنَواتِ، لاقْتَصَرَ عَلَى بَيانِ فضْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الأولَى، ولَما كانَتْ حاجَةٌ إلَى تَنَزُّلِ المَلائِكَةِ فيها، ولا إلَى تَعْيينِ مُنْتَهاها"[1].

دلالةُ حذفِ المُضافِ في ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ﴾:

المعلومُ من السّياق يُحذَفُ بالاتّفاق

حذفَ النّظمُ الكريم المضافَ في قولِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ للعلْمِ بهِ، من مدِّ اللَّيلة التي هي وقتٌ؛ والتّقديرُ: (حتّى وقتِ مطلَعِ الفجر)؛ لأنّ الغايةَ مَدُّ وقتِ اللَّيلة إلى وقتِ مطلَعِ الفجر، فيكون ﴿حَتَّىٰ﴾ داخلًا على الوقتِ ليصلُحَ للمَدّ، قال الهرريّ: "﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ أيْ: من مَبدئها إلى وقتِ طُلوعِ الفجر فيها، وقُدِّر المضاف؛ لكونِ الغايةِ من جنسِ المغيّا"[2].

دلالةُ ﴿مَطْلَعِ﴾ مادّةً وصيغةً:

القَدْرُ العَظيم مُمتَدٌّ من أوّلِها إلى ظُهورِ فجرِها الجَميل

عبّرَ النّظمُ الكريم بلفظِ ﴿مَطْلَعِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ للدّلالة على المعنى المصدريِّ (طلوع)؛ لأنَّ ﴿مَطْلَعِ﴾ مصدرٌ ميميٌّ، والغرضُ من العدولِ عن المصدرِ الصَّريح إلى المصدرِ الميميِّ التّوافقُ مع مقصِد السّورة الدّالِّ على التّفخيم لِلَّيلةِ تفخيمًا عظيمًا، فعدلَ النّظمُ عن الطُّلوع لتحقيقِ مُبالغةٍ في الطّلوع وقوّةٍ فيه؛ لقاعدةِ أنَّ زيادة المَبنى تدلُّ على زيادةِ المعنى، فتكونُ ليلةً فخمةً من أوّلِها إلى طلوعِ فجرها، وللدّلالة بمادّتِه على الظُّهور والبُروز للفَجْرِ وضوئِهِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 461.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 194.

تعدُّد القراءاتِ في ﴿مَطْلَعِ﴾:

امتدادُ السَّلام والتّنزُّل إلى وقتِ الفَجْر

قرأ الجمهورُ لفظَ ﴿مَطْلَعِ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ بفتح اللّام على أنّه مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الطّلوع، وقرأهُ الكسائيُّ وخَلَف العاشر بكسرِ اللّام: ﴿مَطْلِعِ﴾ على أنَّه إمّا مصدرٌ ميميٌّ بكسرِ الميم كـ(المَرجِع) على خلاف القياسِ أيضًا بمعنى الطّلوع، أو اسمُ زمانٍ على غيرِ القياس[1]، "لكنْ وقعَ في القُرْآن؛ لأنّه ليسَ بشاذٍّ مردودٍ لمطابقةِ الاسْتِعْمال؛ فعلى هذا لا يحتاجُ إلَى تقديرِ (الوقت) في ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ﴾ وإنْ تعلَّقَ الجارُّ بـ﴿سَلَٰمٌ﴾"[2].

نُكْتَةُ الإضافةِ في ﴿مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾:

مَهما طالَ اللّيل فلا بدَّ من الفَجر، ومهما طالَ العُمر فلا بدَّ منَ القَبر

أضافَ النّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿مَطْلَعِ﴾ إلى ﴿ٱلْفَجْرِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ للدّلالة على التّعيينِ للطُّلوعِ أوْ زمنِهِ، والغرضُ من التّعيينِ الإضافيِّ والتّحديدِ الزّمنيِّ الإشعارُ بأهمّيّةِ المُسارعة إلى العملِ الصّالح والاستغفارِ والذِّكر قبلَ طُلوعِ الفجرِ وحُلولِ النَّهار، كما أنَّ الإضافةَ تُفيدُ انتهاءَ اللّيل وفرصةِ العملِ، وفيه رمزٌ خفيٌّ إلى أنَّ الحياة الدّنيا فُرصةٌ محدّدةٌ ينبغي استغلالُها قبلَ طلوعِ فجرِ القيامة بالموتِ، فمَهما طالَ اللّيل فلا بدَّ من الفجرِ، ومهما طالَ العمرُ فلا بدَّ منَ القَبر.

دلالةُ التّعريفِ في ﴿ٱلْفَجْرِ﴾:

مُباغتةُ الفَجر تَقتضي التّعبُّدَ قبلَ انقضاءِ العُمْر

عرّفَ النّظمُ الكريمُ ﴿ٱلْفَجْرِ﴾ بـ(أل) في قولِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ للدّلالة على الجنسِ والتّعيينِ للحقيقة الزّمنيَّةِ المَعلومة، التي تَختفي فيها الظُّلمةُ ويَبرزُ فيها ضوءُ النّهار، ويمكنُ أنْ تكونَ (أل) فيه نائبةً عن المضافِ إليه، والتّقديرُ: (حتّى مَطلَعِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 466.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 374.

فجرِها). بقي أنَّ اختيارَ لفظِ الفَجْر بمادّتِه بدلًا من (الصَّباح) مثلًا للإشارة إلى أنَّ الفجرَ يأتي بغتةً بلا مُمَهِّدات له، فيَنبغي المُسارعةُ في العملِ، والتّفرُّغُ للصّالحات في تلك اللَّيلة، قبلَ أنْ يُداهِمَ الفجرُ عَتَمَةَ اللَّيلِ ويُبدِّدَها.

بلاغةُ اختِتامِ السّورة بـ (السَّلام) و﴿ٱلۡفَجۡرِ﴾:

الـفـجـرُ مُـؤذِنٌ بـالارتـحـال، والسَّلام توديعٌ لمَظاهِرِ الاحتفال

اختتمَ النّظمُ الكريمُ السّورة بقولِه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾؛ إذِ المَقصدُ في السّورةِ التّعريفُ بليلةِ القَدْرِ وما فيها من أُمورٍ عظيمةٍ وجليلةٍ، وما وقعَ فيها من إنزالِ القرآنِ وتنزُّلِ الملائكة، فلمّا أُريد الاختتامُ ذُكِرَ لفظُ (السّلام)، والتّوديعُ لها بظهورِ ﴿ٱلۡفَجۡرِ﴾ مُؤْذِنٌ بالارتحالِ، ومُعلِنٌ عن انتهاءِ الاحتفال.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النّزول والهبوط:

الـهُـبـوط أخـصُّ مُـطـلـقًـا مـنَ النُّزول

النّزولُ: هو الانحدارُ مِن أعلى إلى أسفلَ بسلاسةٍ وهُدوء؛ سواءٌ كان نزولًا بنيّةِ الإقامةِ والبقاء في الأسفلِ، أوِ الصُّعودِ مُجدَّدًا.

وأمّا الهبوطُ: فهو انحدارٌ من أعلى إلى أسفلَ أيضًا بقوّةٍ وشدّةٍ، تُشير إليه الهاء والطّاء، لكنّه يكونُ مَصحوبًا بالإقامةِ في ذلك المكانِ[1]، ومِن ثَمَّ عبّر النّظم الكريمُ في قولِه تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ بالنُّزول؛ للدّلالة على أنَّ ذلك النّزولَ هيّنٌ ليّنٌ، وليس للإقامةِ، بل يَعقبُهُ صعودٌ، ولذا قيّدَهُ بـ ﴿مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

الإذنُ والأمر:

الأمـرُ أخـصُّ مُطلقًا منَ الإذنِ

الأمرُ يدلُّ على الطَّلبِ على سبيلِ الاستعلاء، وأمّا الإذنُ فهو

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 296.

السّماح والرِّضا بالفعل؛ سواءٌ صدرَ أمرٌ به أم لا[1]، وعبَّر النّظمُ القرآنيُّ بالإذنِ في قولِهِ تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾؛ للدّلالة على أنَّ ذلك التّنزُّلَ حصلَ بالموافقةِ الإلَهيَّة؛ سواءٌ كان ذلك التّنزُّلُ أمرًا أوْ طَوْعًا.

(1) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 1/ 56.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"